

يوتى الحكمة من بقاء ومن يوتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المبشرا

١٣١٥

الله واولئك هم اولو الالباب
فيتمون احسنه اولئك الذين هدىهم
فبشر عبادي الذين يستمعون القول

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣١٨ - ١٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠)

الدعوة حياة الاديان

انتشار الاديان والمذاهب وثباتها وعدها . موقع الدين من النفوس واره . غيرة المسلمين على دينهم . انتشار المسيحية في افريقيا والسودان . الحيرة والجهل في المسلمين . انتشار الاديان . زعم بعضهم ان سببه القوة الحاكمة ورده . قول الآخري ان السبب كونها حقاً ورده . بيان السبب الحقيقي . الاسلام انتشر بالدعوة لا بالسيف . شأن الدعوة العظيم . المرتدون من الصنف الملقب بالاسلام . اهمال العلماء

« ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »

قام في العالم الانساني اديان كثيرة ثبت بعضها وانتشر وانقرض البعض الآخر ووجد في هذه الاديان مذاهب متعددة كان شأنها شأن الاديان نفسها في الثبات والانتشار والعفاء والاضمحلال . ومن الناس من يلتفت الى هذا الامر العظيم ولا يبحث في سببه ومنهم من يحكم فيه بغير هدى ولا عقل منير على ان البحث فيه بحث في حياة الاديان ومماتها وبقاء

المذاهب وفنائها وللمدين في نفوس البشر اعلى المنازل وموقعه منها اشرف المواقع فلا يرون مفخراً اسمى من سعة انتشار دينهم وكثرة سواد متبعيه وعزة اهله وقوة بنيه ولا يرون ذلة ايلاماً ولا مهانة اوجع سهاماً من تقلص ظلال دينهم ومروق متبعيه منه او وقوع الحيف والظلم فيهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم . وقوة هذه الوجدانات المؤلمة او الملائمة وضعفها يتبعان قوة التمكن في الدين والثقة به والاعتقاد بوجود تميمه وشيئاً آخر هو من الاعتبار بمكان وهو تاريخ الدين وما يقصه على ابناءه من مجد سلفهم السابق واستعلائهم بدينهم على من سواهم وما نالوا به من سيادة وسلطان . وكل هذه الشروط متوفرة في المسلمين ولا تكاد توجد كلها او اكثرها فحين عدام ولذلك نراهم على خذلانهم لدينهم في هذه الازمنة وتنكبهم طريقه وانحرفهم عن صراطه يتنفسون الصعداء ويتلملون من الالم اذا سمعوا بان زنجياً في احشاء افريقيا او مغولياً في اطراف الصين انتسب بعد الاسلام الى دين آخر او استبدل اسماً من اسماء العلوج باسم محمد او احمد وان كانوا يعلمون انه من المسلمين الجغرافيين الذين ليس لهم من الاسلام الا الاسماء والالقاب . ولكنهم على هذا كله لا يبحثون عن الاسباب الحقيقية لطى الأديان ونشرها فيستمدوا الاستكمال السبب والعمل به ليمتتع الطلى ويثبت النشر ويزداد امتداداً

نشر المؤيد من ايام مقالة عنوانها (الاسلام والمسيحية . في البلاد السودانية) للرحالة ابن حام مكاتبه الشهير ذكر فيها انتشار النصرانية في افريقيا بهمة المبغوثين المسيحيين قائلاً ان اهالى مستعمرة السنيغال الفرنسية صاروا كاثوليكاً غالباً واهالى مستعمرة الكونغو البلجيكية كذلك وسكان بلاد

أوجندة الانكليزية صاروا بروتستانتاً . ثم ذكر انه جاء ام درمان من خمسة اشهر ثلاث حملات عسكرية من الجنوب الاولى الانكليزية والثانية فرساوية والثالثة بلجيكية . رجال هذه الحملات افرقيون وضباطهم اوروبيون وكلهم مسيحيون وذكر الرحالة انه رأى في زنجابوج اوجنده من يعرف العربية وبعد سؤاله عن اسمه ودينه علم انه كان مسلماً ثم تنصر لكثرة جدال المبعوثين له وعدم وجود عالم يزيل شبههم ولكثرة مواساتهم له ومعالجتهم اياه في مرض الم به . ثم ذكر ان في ام درمان الآن ثلاث بعثات مسيحية اميركانية بروتستانتية ونمساوية كاثوليكية وقبطية ارثوذكسية ولكل بعثة مدرسة وكنيسة وليس للمسلمين والبلاد بلادهم مدرسة يُعلم فيها الاسلام طفل مسلم ولكل بعثة من هذه البعثات شعبة في جنوبي فشودة توزع الانجيل (الذي نقلوه الى لغة البرابرة حديثاً) وتدعو الى النصرانية واكثر دعواتها من اقباط مصر يخدعون الزوج ويختلبونهم بقولهم ان الترك (اسم يشمل المصريين عندهم) كلهم مسيحيون واكد الرحالة هذا بانه بلغه ان ملك الزوج في جهات (دارفونج) اعتنق النصرانية على انها دين الحكومة الخديوية والدولة العلية ويتوقع ان يصير اتباعه كلهم بروتستانتاً لان العبيد على دين ملوكهم كما يقال . وقد رمى الرحالة الفاضل علماء الازهر بالتقصير كغيرهم في خدمة الدين والدعوة اليه ورمى الجرائد الاسلامية بالنش فيما نشره من ذكر قوة الاسلام وامتداده وانتشاره بنفسه تفریحاً للناس وانما لكسلهم وتماديهم في الخذلان كما رمى الجمعيات الاسلامية بالتقصير في عدم التصدي لبعث البعث للارشاد وحفظ الاسلام على المسلمين وله الحق في كل ما قال . نعترف له بالحق لانه الحق لا الأنا نرجو ان لا تصيب

سهامه المنار الذي يكاد يكون كاه انذاراً للمسلمين بسوء مغبة ما هم فيه من الغرور وبياناً لتقصير العلماء في خدمة الدين بما يقتضيه حال العصر والخاصة عليهم بوجوب الاصلاح العالمي والديني ولم يثنا عن هذا عدم استعذاب كثير من الناس لهذا المشرب لما فيه من صرامة الحق لرجائنا أن الزمان سيوضح لهم انه الحق الذي لا محيص عنه وقد رأينا بوادر هذا فقوى الرجاء بل صار يقيناً

نشرت مقالة الرحالة فكان لها تأثير عظيم في نفوس المسلمين والم سرى في ارواحهم سريان الاعتقاد في مداركهم ولكنه الم كسائر الآمهم في طورهم هذا لا يزيد على حزن العجائز وتوجع الزمنى لا يجيء بسعى ولا يبعث على عمل الا ان تكون حضارة الحركة الفكرية الاسلامية الحاضرة قد اتمت تربية نفوس نهر من المسلمين من حيث لا ندري فيندفع بعضهم الى السعى في رثق الفتق في السودان ومداواة العلة قبل استحكامها . والذي نرفه هو ما ائتناه قبلاً من طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغممة بحيث لا تدري كيف يمكن تلافي هذا الامر ومن كان على علم بشيء من ذلك فانما علمه رسوم تلوح في الخيال لا اثر لها في الروح والوجدان فبعثت على العمل وهي ايضاً اجمالية غامضة لا تكفي في هداية من يريد العمل اللهم الا افراداً لا يصلون الى منتهى جمع القلة يجب ان يصرف وقت الواحد منهم في تربية بعض العلماء والفضلاء ليكونوا من المصلحين لا تعليم الزوج مبادئ الدين . على انه لا يهدى المامل كالصدق والاخلاص اذا تكيفت بهما الروح وانفعل بهما الوجدان انفعالاً . ولله در من قال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

هذا ضرب من الاستشهاد اطلنا به الاستطراد لان الذي حرك النفس للكتابة في هذا الموضوع انما هو كلام الرحالة فلنعمد الى البحث في السبب عن انتشار الأديان والمذاهب فنقول : يذهب الأكثرون الى ان القوة الحاكمة هي السبب الوحيد في ذلك كما انها السبب في كل اصلاح وافساد فاشاءت الحكومة كان وما لم تشألم يكن وقد بارز (المنار) هذا الرأي بالحرب منذ انشأه وهيئات ان يقتنع بالكتابة الا الاقلون على اننا لانكر ان القوة الحاكمة تستطيع تأييد السبب الحقيقي وتعزيزه كما تستطيع خنله وتهديد القائمين به لكي يهنوا ويضعفوا ولكنها ليست هي عين السبب واذا هو وجد فلا تستطيع اعدامه وربما كان عملها على طية من علل الانتشار وضغطها على اهله من اسباب الانفجار وما وجد دين ولا مذهب لم تقاومه القوة وتواشبه الحكومة وقد انتصرت تلك المذاهب والأديان . وخذل من ناواها من حاكم وسلطان .

ويقول آخرون ان العملة الحقيقية في امتداد الأديان وانتشارها هو كونها حقاً في ذاتها وعندما يرمى هذا القول على اطلاقه يسهل التسليم به ولا سيما على المسلم البصير الذي يعلم ان دينه الاسلام ما قام وانتشر بالسيف كما يزعمون وانما انتشر بكونه حقاً صارع الاباطيل فصرعها بالبرهان وظهور انطباقه على مصالح الانسان . واذا سئل هذا المسلم عن علة انتشار سائر الأديان يصعب عليه ان يجيب جواباً فيه مقنع لنفسه وللناسل لانه اذا قال « ان اليهودية والنصرانية انما انتشرتا بالحق ثم طراً عليهما الباطل فظلتا سائرتين بحركة الاستمرار » يقال له وما تقول في الديانة الوثنية التي هي اعم الأديان انتشاراً؟ لا جرم انه يحار في الجواب . ومن اهل الاسلام

طائفة قامت بمذهب بل دين جديد وهو آخذ بالانتشار حتى ان في مجاوري
الأزهر من يدين به ويدعو اليه يحاول هؤلاء ان يثبتوا ان انتشار الأديان
والمذاهب هو الدليل على حقيتها وهؤلاء يدعون ان اصول الديانات الوثنية
كديانة بوذو وبرهما وزرادشت صحيحة وسماوية ايضاً ليسلموا من هذا الايراد
(هكذا بلغني عنهم) ولعلمهم اذا سئلوا عن السبب في نجاح مذهب
البروتستنت وانتشاره مثلاً يقولون انه لم يخرج عن قاعدتنا فان هذا
المذهب انما دعا الى ترك التقاليد والبدع التي طرأت على النصرانية والقرب
بها من اصلها الحق ولكن اثبات حقية الديانة الوثنية وحقية الأديان
والمذاهب الأخرى التي انتشرت وثبتت الى الآن يتعسر او يتعذر عليهم
والصواب ان هناك سبباً آخر للانتشار هو الذي انتشر به كل دين ومذهب
في العالم سواء في ذلك الحق والباطل وانما الفرق بين الحق والباطل انه اذا
قذف بالاول على الثاني يدمغه وانها اذا تساويا في سبب الانتشار الذي
نذكره يثبت الحق ويزهق الباطل كما ارشدنا القرآن الحكيم وبهذا كان
للإسلام السلطان الاعلى على جميع الأديان لا بقوة السيف والسنان . ولو
كان الحق ينتشر بذاته لأنه الحق لما كتب الله علينا (الدعوة) اليه - وهي
العلة الحقيقية والسبب الصحيح - ولما كان من حاجة الى الانبياء والمرسلين
وورائهم من العلماء والمرشدين الداعين الى دين الله تعالى ولما وصف الله
الدعوة اليه بأنها احسن القول ولما امر نبيه عليه الصلاة والسلام بان يبين
للناس ان سبيله وطريقته التي يسلكها هو واتباعه انما هي الدعوة الى الله
على بصيرة

ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت

مبدأ من المبادئ الإلزامية . وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا أنتكت
فتن شريعة بعد أحكامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع إعلامها إلا
بترك الدعوة . فالدعوة حياة كل امر عام تدعى إليه الشعوب والأقوام
سواء كان ذلك الأمر حقاً واصلاحاً في نفسه أو كان باطلاً مموهاً بالحق
وافساداً مغشىً بالاصلاح ومسمىً باسمه . ومن راجع التاريخ يعلم انه ما
وجد احد يدعو الى شيء ولم يجد تابعاً وها نحن أولاً نرى المذاهب
الباطلة تنمو بالدعوة ويتم انتشارها والمذاهب الحقّة تتضاءل وتغنى آثارها .
وقد بدأ الإسلام يضعف منذ اقتنع أهله بالترف والنعيم واهملوا العناية
بالدعوة اليه وإنما طال زمن دور نموه مع كثرة ما صرفه من الموانع لقوته
واصلته في الحق ولذلك ما أمكن لأهل دين آخر ان يردوا مسلماً يعرف
الإسلام عن دينه بل صعب عليهم ان يردوا المقلدين فيه عنه لوضوح
الفرق بينه وبين ما يدعون اليه من الأديان الأخرى وغاية ما أمكنهم هو
ان يفتنوا عدداً قليلاً ممن ليس لهم من الإسلام الا أنهم من صنف
يسمى أهله المسلمون ويسمى دينهم الإسلام كبعض زنوج افريقيا وجهال
جبال الهند وقفارها الذين لا يعرفون من الإسلام الا حل اكل لحم البقر الذي
يقده مجاوروهم ولو بقي لعلماء المسلمين سؤر من الغيرة لنفروا خفافاً وثقالاً
الى ارشاد هؤلاء الجاهلين ولكنهم لا يعملون الا للمال . وقد طال بنا الشرح
فاشفقنا على القراء من الملل واننا نرجى البحث الى الجزء الآتي نبين فيه
شروط الدعوة وآدابها على ما ارشد اليه قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك
بالحكمة) الآية